الدامية ، ولكن الى عمل آخر لا يستطيع أحد أن ينافسه فيه . فقد كان السجن يستقبل كل يوم سبت عددا من المساجين كلهم شبان ، كلهم جاءوا الى السجن لارتكابهم جريمة واحدة . هى الهروب من الجندية ، ولأنهم منقولون من السجن الحربى ، فقد وصلوا الى سجن القناطر فى غاية الاعياء ، وليس مع احد منهم سجاير ولا نقود ، وكانت مهمة الحاج محمود عندئذ هى مد يده الكريمة الى هؤلاء الضائعين ، بالسجاير وعلب الأطعمة المحفوظة على ان يدفع هؤلاء ما عليهم من نقود بعد ذلك . عملية فيها مخاطرة ، ولكن الحاج قام بها عن طيب خاطر !

استأجر الحاج مسجونا من عتاة المجرمين ، له سجل حافل فى الجريمة ، وسوابق فى فقأ أعين الحراس ، الأمر الذى جعل ادارة السجن تغمض عينها عن نشاطه المريب داخل الأسوار . وكان سعيد ـ هذا اسمه ـ شابا فى مقتبل العمر . قصير القامة متين البنيان ، قويا كالثور ، وكان مسلحا بخنجر له نصل حاد يخفيه فى طيات ملابسه ، ورغم ان الحراس الذين تولوا تفتيشه أكثر من ألف مرة ، كانوا يعرفون موضع الخنجر فى ملابسه ، إلا ان احدا منهم لم يجرؤ على ضبطه فى يوم من الأيام .

وكان سعيد ينتقل طول النهار تحت سمع وبصر الادارة بين العنابر قاطعا فناء السجن ، ليوزع السجاير وعلب الأطعمة المحفوظة فى زنزانة الحاج محمود الى مختلف الزنازين . ثم يعود آخر الأسبوع فيجمع الحساب ممن تلقوا نقودا من ذويهم ، وكان يقنع بربع حصة له عن عمله مع الحاج ، تاركا للحاج محمود الباقى نظير رأس المال . وتعرضه للافلاس تماما اذا تم ترحيل هؤلاء المساجين فجأة يوما ما ! .

واطمأن الحاج محمود الى العملية الجديدة . فكل خطوة فيها تسير حسب الخطة الموضوعة والأرباح فاحشة ، والمستقبل زاهر ، وفترة السجن لن تضيع هدرا ، ورب العباد الكريم ، يقطع هنا ليوصل هناك . وتسلح الحاج محمود بعدة دفاتر لينظم حساباته . ولأن الورق والقلم من الممنوعات بالنسبة للمسجون السياسى ، فقد جعلها فى عهدة شريكه سعيد ، وكان سعيد يحملها اليه فى الصباح ، ويقضى الحاج محمود وقتا طويلا فى اثبات الديون ، وشطب المتحصلات ، واسقاط الديون الميتة التى تم الافراج عن اصحابها ! وتم ترحيلهم من السجن .

واتسعت أعمال الحاج محمود ، فصار يشترى من السجن بضائع يسلمها .